هل الآلة وكيل أخلاقي؟

في الشروط المعرفية للحديث عن فلسفة أخلاقية للآلات

كزافييه غوشيه

ترجمة: خديجة حلفاوي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018

All rights reserved © 2018

هل الآلة وكيل أخلاقي؟[1]
في الشروط المعرفية للحديث عن فلسفة أخلاقية للآلات

بقلم: **كزافييه غوشيه**
ترجمة: **خديجة حلفاوي**

1 نُشر هذا المقال في العدد 22 من مجلة "علوم إنسانية" الفرنسية (Sciences Humaines) سلسلة (Hors-série) ماي-يونيو 2017، ص: 35-33

من المرجح أن تلعب الآلات دوراً حاسما في المساعدة في اتخاذ القرارات، أو حتى استبدال صناع القرار في البشر. مع ترابط هذه الأسئلة الأخلاقية الحساسة والملحة، بأي معنى يمكن الحديث عن أخلاقيات الآلات؟

بين روبوتات شبيهة بالإنسان وقادرة على الاختلاط مع الأشخاص الذين فقدوا استقلاليتهم الاجتماعية، المركبات الذكية ذاتية القيادة والقادرة على تجنب الأخطار وحل العديد من المعضلات الأخلاقية وخوارزميات بإمكانها تعلم واستنتاج السلوك المستقبلي للبشر، انطلاقا من البيانات [البيانات الضخمة أساسا (Big data)]، وبالتالي مساعدة الشرطة أو العدالة في اتخاذ القرارات [المصيرية]، هل يمكن اعتبار هذه الأنواع الثلاثة من «الكائنات التقنية» (Les êtres techniques) القائمة على تطور «الذكاء الاصطناعي» (L'intelligence artificielle) وكلاء أخلاقيين؟ من منطلق أنها تقود إلى توجيه أو حتى «اتخاذ قرارات» ذات نطاق أخلاقي صريح. قد يدفعنا الأمر إلى طرح سؤال غريب: ألا يمكن اعتبار كائن قادر على اتخاذ القرارات والتصرف أخلاقيا كائنا واعيا وله القدرة على تشكيل النوايا واتخاذ قرارات حرة؟ يتعلق الأمر بميزات تفتقر إليها [إلى حدود اليوم] الروبوتات الاجتماعية، المركبات ذاتية التحكم والخوارزميات التنبؤية. هل يمكن أن نقدم توصيفات [خاصة] لمصطلحات من قبيل «اتخاذ قرار» أو «تشكيل القرارات الخاصة»، حينما يتعلق الأمر بالآلات؟ أضحى بمقدور الذكاء الاصطناعي استنتاج القرارات انطلاقا من القواعد المعمول بها بشكل بديهي. لكن، هل يمكن تصور إمكانية وجود آلة قادرة على التصرف واتخاذ قرار عقلاني («الحكم الذي يوجه الاختيار» لدى أرسطو (Hexis Prohairetiké)) فيما يتعلق بالسلوك الأخلاقي؟ يستند هذا الحكم بدوره إلى «حكمة عملية» (Phronesis) تستند على معرفة كيفية تطبيق المبادئ في سياقات متغيرة ومختلفة، وتفرض علينا التصرف. هل يمكن تقسيم سيرورة الفعل الأخلاقي إلى عناصر وصفية معزولة بشكل فريد؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل يمكننا افتراض أنه بالإمكان إعادة ترسيم هذه السيرورة بشكل منهجي وإعادة إنتاجها بواسطة خوارزمية؟ باختصار، هل يمكننا «أتمتة» (Automatisation) التفكير الأخلاقي؟ هذا الأمر محط نقاش وجدال واسع النطاق. هل يتطلب الشرط الأخلاقي مجرد ملكة عقلانية، أم أنه ينطوي على بعد قائم على الشعور والعاطفة؟

قد يبدو الجواب البديهي، أن الآلات مستثناة من مجال الأخلاقيات. في الواقع، هناك روبوتات مصممة لإدراك العواطف والتصرف وفقًا لها. لكن، ما الذي يعنيه أن نقول إن «ربوتا» قادر على إدراك العواطف والإحساس بها؟ تثير مسألة «تعلم الآلة» (Machine Learning) قضايا أخلاقية بسبب إمكانية تتبعها، تكرارها وتنميطها لـ [سلوكيات] الأفراد. تبعا لكل هذا، هل يمكننا أن نصف «الذكاء الاصطناعي» بكونه

وكيلا أخلاقيا في حد ذاته؟ يقودنا الحس السليم إلى ربط الأخلاق بـ «الفاعل الإنساني» الذي يملك القدرة على استخدام هذه التقنيات الجديدة من عدمه.

طريقان صعبان

تكتسي مسألة «الأخلاق الجوهرية» (la moralité intrinsèque) أهمية بالغة، حينما يتعلق الأمر بـ «كائنات» [تقنية] تطورت على مدى الأربعين سنة الماضية بشكل ملحوظ. نشأ قطاع الروبوتات خلال سبعينيات القرن الماضي. منذ ذلك الحين، أضحت هذه الآلات قادرة شيئا فشيئا على أن تحل محل صانعي القرار من البشر ضمن سياقات معينة تستوجب التصرف الأخلاقي (مواجهة أخطار الطريق والسياقة على سبيل المثال)؛ وليس فقط مجرد «اتخاذ القرارات»، بالشكل الذي جعل طرح مسألة «أخلاق الروبوتات» أمرا لا مفر منه. تطورت العديد من المقاربات في هذا الصدد: ما سمي بالمقاربات «التصاعدية والتنازلية» (Top-Down and Bottom-up) القائمة على أداء الروبوتات لمبدأ أخلاقي معين، في شكل مجموعة من القواعد المحددة بوضوح. في نفس السياق، طُرح سؤال شائك: أي مبدأ أخلاقي وجب تلقينه للروبوتات؟ أخلاق «دينطولوجية» (مهنية وعملية) أم أخلاق نفعية؛ بمعنى واجب أخلاقي مطلق (لن تقتل) أم أخلاق مبنية على أسس حسابية ورياضية تضمن تعزيز السعادة في أقصى حدودها وإضعاف الألم؟ يطرح كل مسار معين مشاكل صعبة من حيث البرمجة: مع وجود قائمة بالواجبات غير المشروطة، كيف يمكن للروبوتات أن تحل معضلة تضارب الواجبات التي ستظهر في الوضعيات العملية التي ستواجهها؟ بما أن هذه الآلات تتمتع بالقدرة على إجراء حسابات عملية، كيف ستقرر متى يتوجب التوقف عن المرور بسلسلة التعرف على النتائج التي ستترتب عن فعلها؟

اقترح البعض إعطاء الروبوتات «اختبارًا أخلاقيًا» (Test moral)، على غرار «اختبار تورنغ» (Test de Turing) الشهير المصمم للمساعدة في تقرير ما إذا كانت الآلة تفكر أم لا، دون تحديد ما هو الفكر من حيث الأصل. من المفترض أن يسمح «اختبار تورنغ الأخلاقي» (Test de Turing moral) بتشريح مسألة أخلاق الروبوتات دون أن يوافق مسبقًا على تحديد الأخلاق وأفضل مبدأ أو عقيدة أخلاقية. لا يمر هذا الاختبار نفسه دون صعوبات: من المتوقع أن يتصرف الروبوت أخلاقياً في أي وقت، ولكن هل هذا هو حال الإنسان؟ بما أن الاختبار يقارن بين استجابات الروبوت والإنسان -على التوالي- لنفس الأسئلة الأخلاقية، فإنه يقيم أخلاق الأول [الروبوت] وفقا للأخطار التي تلحق بالثاني [الإنسان] الأمر الذي يؤدي إلى نتيجة بعيدة عن الهدف الأخلاقي المثالي المخصص للروبوتات. بعبارة ملطفة: «لن نقبل روبوتا قادرا على اتخاذ قرار -إن لم يكن للتصرف بشكل أخلاقي- بطريقة غير مثالية على المستوى الأخلاقي، بينما

هذه الحالة تخص الإنسان في حد ذاته. من ناحية أخرى، هل يمكننا الحديث بصرامة عن «وكالة أخلاقية» (Agentivité morale) عند «كائن» محروم -بالطبيعة- من القدرة على التصرف بشكل غير أخلاقي؟ أي محروم من معرفة الخير والشر...

في مقابل ذلك، تم اقتراح العديد من المقاربات للتغلب على هذه الصعوبات. لا تهدف هذه المقاربات، المسماة «تصاعدية» (Bottom-up)، إلى برمجة الروبوتات على إتباع قواعد واضحة، ولكن غرس السلوك الجيد فيها [تعليم الروبوتات]؛ كما هو الحال مع الأطفال، من خلال التعلم التدريجي (Apprentissage progressif). يتعلق الأمر بجعل الروبوت يفهم ما هو متوقع منه وقادرا على فهم ما إذا كان يتصرف بشكل جيد أو سيئ. مع ذلك، يتعلم الطفل التصرف بشكل جيد أو سيئ طرديا مع التعزيز الإيجابي أو السلبي [نظام المكافأة والعقاب]. ما هي المكافآت والعقوبات التي من الممكن أن يكون الروبوت «حساسا» تجاهها؟ تم اقتراح مقاربات هجينة، لكن ليس من المؤكد ما إذا كان بمستطاعها التغلب على الصعوبات التي يواجهها كل من المسارين الحاليين: «التنازلي» و«التصاعدي».

الآلات أم وكلاء؟

لم تنحصر مسألة «الوكالة الأخلاقية» للكائنات التقنية في مجال الذكاء الاصطناعي. خلال سبعينيات القرن الماضي، قاد علماء اجتماع العلوم والتكنولوجيات حلقة بحثية حول «دراسات العلوم والتكنولوجيا» (science and technology studies)، بالموازاة مع ظهور جيل جديد من فلاسفة التقنيات طامح نحو إصباغ أبحاثهم بعدا تجريبيا وسياقيا، تعتبر أن التقنيات ليست أدوات محايدة أخلاقيا ويمكن استخدامها وفقا لغايات مختلفة من قبل الإنسان، لكنها تحمل معتقدات أخلاقية حقيقية («عناصر فاعلة» كما يصفها «برونو لاتور» (Bruno Latour)) بدأت تفرض نفسها بشكل لافت. هناك أمثلة كثيرة في هذا المنحى، مثل «مثبطات لاتور»: يعد المطب الصناعي جزء لا يتجزأ من وضعية أخلاقية خاصة، من منطلق أنه يساعد في تعليم السائقين القيادة بطريقة تتوافق مع الأهداف الأخلاقية (لا تهدد أطفال يخرجون من المدرسة ويعبرون الطريق). يؤثر هذا المثبط بشكل حرفي في المجال الأخلاقي، رغم أنه «جسم» غير قادر على الاستقلالية، القصدية والحرية مثل ما هو الشأن مع العامل البشري. تستند «الوكالة الأخلاقية» في تكوينها إلى ثلاثة مبادئ أساس: **أولا**، هناك وكلاء أخلاقيون اصطناعيون بشكل صريح، مثل تلك المرتبطة بالذكاء الاصطناعي الذي من المفترض أن يقوم على قواعد استدلال أخلاقية. **ثانيا**، هناك وكلاء أخلاقيون اصطناعيون بشكل ضمني، كما هو الشأن مع الصراف الآلي الذي يعطيك من المال بمقدار ما سيتم خصمه من حسابك أو مع «المطب الصناعي» الذي يجعل السائق يتصرف وفقا لما هو متوقع منه أخلاقيا (حتى

لو كان على علم بأن الأمر يتعلق بممتص صدمات لا غير). **ثالثا** وأخيرا، وكلاء أخلاقيون بالمعنى الكامل للكلمة (full moral agents)، بمعنى كائنات قصدية وحرة مثلنا نحن البشر.

إن السؤال الواجب طرحه ليس هو ما إذا كان بالإمكان اعتبار الآلات «وكلاء أخلاقيين» من عدمه. بدلا من ذلك، يجب البحث عن معنى «الوكالة» حتى يتسنى اعتبار الآلة وكيلا من جهة، ومن جهة أخرى معرفة ما الذي يتطلبه السلوك البشري لكي يصير له مغزى وأهمية أخلاقية. في هذه النقطة الأخيرة، خلخلت إثيقا الوكلاء الأخلاقيين الاصطناعيين جوهر الفلسفة الأخلاقية من خلال طرح السؤال التالي: أليست الأخلاق نفسها لا تفرض وجود «مكملات» تقنية؛ أي بعد «اصطناعي» ووجود «كائنات غير بشرية» قادرة على «الفعل» و«التقرير» وتأسيس وتشكيل سلوكياتنا الأخلاقية كبشر؟ لا، هل يمكن للآلات أن تكون أخلاقية؟ لكن، أليست الأخلاق مصممة هندسيا واصطناعيا [عظمة الخالق تعالى]؟

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018

All rights reserved © 2018